

خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي (دراسة في المرويات الأولى)

مهراڤ محمود أحمد الزعبي *

ملخص

تتناول هذه الدراسة خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي بعد الهجرة إلى الحبشة، إذ ألقى جعفر هذه الخطبة بعد أن وصل وفد من قريش يريد استرحاق المسلمين إلى مكة، وكانت هذه الخطبة لها تأثير واضح وكبير لم تقتصر على المسلمين المهاجرين بل بلغ تأثيرها حتى النجاشي نفسه وبطارقته كما تصور المصادر، وكانت الخطبة بمثابة قارب النجاة للمسلمين والتخلص من أذى قريش واستقرارهم في الحبش. وهدف هذا البحث إلى تبين حقيقة هذه الخطبة من عدمها، وذلك من خلال استقراء الروايات واستنتاجها بأسلوب نقدي و لا سيما وأن هذه الخطبة لها صدق واسع في كتب السيرة النبوية.

الكلمات الدالة: جعفر بن أبي طالب، الحبشة، النجاشي، الهجرة، قريش.

المقدمة:

إنّ مما لا شك فيه أن موضوع الهجرة إلى الحبشة من المواضيع التي لا زالت تشكل مادة خصبة عن تاريخ الدعوة الإسلامية خاصة في جانبها المكي، ولا سيما أنها تشكل إحدى طرق مواجهة القرشيين في سبيل الحفاظ على الدعوة وحاملها، لذلك جاء هذا البحث ليسلط الضوء على هذه الهجرة وما جرى فيها من تفاصيل وتحديداً موضوع خطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، إضافة إلى طرح مجموعة من الأسئلة التي من شأنها إثراء موضوع البحث تاريخياً وفكرياً، فغاية هذا البحث هو استنتاج الروايات التاريخية المتعلقة بخطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، والتي شكلت في تاريخنا قاعدة صلبة ضد المشركين مما حدى ببعض الروايات إلى الحديث عن تغيير النجاشي لبعض آرائه المسيحية في طبيعة السيد المسيح بسبب هذه الخطبة. (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، الأصبهاني 1986م - أ، ابن أبي الحديد 2003م)

وإن خطبة جعفر لم تستقرأ ولم يتم دراستها بشكل نقدي وتاريخي وسري، ناهيك عما شكلته هذه الخطبة من صدق في مصادرنا الأولى (تحديداً السيرة)، لذلك جاء هذا البحث لدراسة المرويات الأولى للخطبة حيث سيتم دراستها من ناحية المتن وما ورد فيها من تعاليم إسلامية ومعتقدات وردت في خطبة جعفر بن أبي طالب.

وما أن انطلقت الدعوة الإسلامية بشقها الثاني (الدعوة العلنية) حسب ما ذكرت المصادر (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م، الطبري 1966م)، إذ بدأت قريش باتخاذ كل التدابير والسبل لردع المسلمين الأوائل عن هذا الدين، وتركه من أجل العودة إلى الدين الوثني دين الآباء والأجداد (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م، الطبري 1966م)، فبدأت القوى المعارضة للدين الجديد (الزعامة القرشية) بتعذيب أبنائها وعبيدها لردعهم عن هذا الدين الجديد، وقد حفل تاريخنا بنماذج عدة من قصص التعذيب التي تعرض لها المسلمون، إذ رويت هذه الروايات بأسلوب درامي ملؤها العاطفة والشعور بالظلم مما يعانیه المسلمون من المشركين، ومن تلك القصص المعروفة على سبيل المثال لا الحصر قصة تعذيب آل عمار بن ياسر (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م)، وبلال بن رباح (ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م) وغيرهم الكثير.

ونتيجة لما تعرض له المسلمون من أذى قريش بدأ النبي -صلى الله عليه وسلم- يفكر ملياً لاتخاذ بعض السبل التي من شأنها التخفيف من وطأة التعذيب على المسلمين، فما كان منه إلا اتخاذ قرار الهجرة، اختار الرسول -عليه السلام- الحبشة مكاناً لهجرة المسلمين، وهنا لابد من تقديم الرأي في فكرة اختيار الحبشة دون سواها، فقد تكفلت المصادر بالإجابة بأن بها ملكاً لا يظلم أحد عنده. (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، الطبري 1966م) وإن اكتفت المصادر بهذه الإجابة السطحية التي لا تقنع الباحث

* قسم العلوم التربوية، كلية الآداب والعلوم، جامعة البترا. تاريخ استلام البحث 2017/9/18، وتاريخ قبوله 2020/6/24.

الناقد، واختيار الحبشة جاء وفق دراسة من قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - كونه شخصية منفتحة قادرة على استقراء الأمور وتحليل الواقع، وفقاً لمصلحة الجماعة المسلمة والدعوة الإسلامية، ويبدو أن اختيار الحبشة جاء بعد دراسة عميقة للمناطق المجاورة لمكة التي لا تصلح لهجرة هذه الفئة في ذلك الوقت، إذ تتمتع الحبشة بميزة اقتصادية، كونها ميناء تجاري مهم إذ كان مقصداً تجارياً بالغ الأهمية تصل إليه البضائع من مختلف المناطق إضافة إلى توافد التجار عليها من كل حذب وصوب، فدخل المسلمون إليها لن يجلب لهم أدنى درجات الشك، وما يدعم هذه الفكرة ما تحدثت به بعض الروايات التاريخية التي قالت: بعدم معرفة النجاشي بوجود المسلمين خاصة عندما أرسلت قريش تطلب المسلمين من النجاشي. (البیهقي 1985م، الأصبهاني 2010-ب، ابن سيد الناس 1993م).

وأما بالنسبة لتاريخ الهجرة فأجمعت أغلب المصادر على أن هجرة الحبشة كانت في السنة الخامسة للبعثة (ابن إسحاق 1976، ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م، الطبري 1966م، ابن كثير 1987م) وشذت بعض المصادر في ذكر سنوات متنوعة (ابن حبان 1998م، الذهبي 1982، ابن حديد 1977م) إذ هاجر المسلمون إلى الحبشة بدفعات متتالية ولم يخرجوا إليها بشكل جماعي كي لا يلفتوا نظر المشركين. (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، الطبري 1966م) إذ مثلت الهجرة إحدى الأساليب التي من شأنها أن تخفف وطء العذاب على المستضعفين من المسلمين، وعلى الرغم من هجرة بعض الأفراد الذين لم يتعرضوا لأذى قريش حسب ما تذكر الروايات التاريخية مثل: جعفر والزبير وغيرهم (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م، الطبري 1966م، ابن حبان 1998م)، وهذا البحث ليس من شأنه التعرض والبحث في أسماء المهاجرين وعددهم فالمصادر تكفلت بذلك وبالتفاصيل (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، البلاذري 2008م) ولكن ما يهمنا هنا الحديث عن خطبة جعفر أمام النجاشي التي ألقاها بعد وصول وفد قريش لاسترجاع المسلمين من الحبشة. (ابن اسحاق 1976، ابن هشام 1955، الطبري 1966م)

وردت خطبة جعفر في المصادر بعدة أسانيد ومتون متنوعة، وهذا ما يجعلها مدعاة للشك والريبة، كون المصادر لم تتفق على صيغة موحدة، خلافاً عما يوجه لمتن الخطبة من انتقادات وتساؤلات تجعلها ضمن دائرة الاستفهام والشك في صحتها ووجودها، فالمصادر التي ذكرت الخطبة كانت على النحو الآتي :

1- القسم الأول مصادر ذكرت الخطبة على لسان موسى بن عقبة بن أبي عياش القرشي مولى الزبير بن العوام (ت 141هـ/758م)، (ابن أبي حاتم 1952م، المزي 1983م) مثل: البیهقي (أحمد بن الحسين ت 458هـ/1066م) في دلائل النبوة (البیهقي 1985م) والذهبي (محمد بن أحمد ت 748هـ/1347م) في تاريخه (الذهبي 1982م) وابن كثير (إسماعيل بن عمر ت 774هـ/1373م) في البداية والنهاية (ابن كثير 1987م) وأوردها ابن حبان (محمد بن حبان ت 354هـ/965م) في الثقات وبالألفاظ مشابه إلا أنه لم يذكر بأنها على لسان موسى بن عقبة (ابن حبان 1998م) وتالياً نصها:

(وَجَرَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي رَهْطٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ ذَلِكَ فِرَارًا بِدِينِهِمْ أَنْ يُفْتَنُوا عَنْهُ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَبَعَثَ قُرَيْشٌ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَغَمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَأَمْرُوهُمَا أَنْ يُسْرِعَا السَّيْرَ، فَفَعَلَا وَأَهْدُوا لِلنَّجَاشِيِّ فَرَسًا، وَجَبَّةً دِيْبَاجَ، وَأَهْدُوا لِعُظَمَاءِ الْحَبَشَةِ هَدَايَا، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ قِيلَ هَذَايَاهُمْ، وَأَجْلَسَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى سَرِيرِهِ، فَقَالَ عَمْرُو: إِنَّ بَارِضَكُمْ رَجَالًا مَنَّا سَفَهَاءَ لَيْسُوا عَلَى دِينِكُمْ وَلَا عَلَى دِينِنَا، فَادْفَعُهُمْ إِلَيْنَا، فَقَالَتْ عُظَمَاءُ الْحَبَشَةِ لِلنَّجَاشِيِّ: أَجَلٌ فَادْفَعُهُمْ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَا وَاللَّهِ، لَا أَدْفَعُهُمْ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَكَلِمَهُمْ وَأَعْلَمَ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ هُمْ. فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: هُمْ أَصْحَابُ الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ فِينَا وَسَخَّرَكَ بِمَا نَعْرِفُ مِنْ سَفَهِهِمْ وَخِلَافِهِمْ الْحَقَّ أَنَّهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ اللَّهِ، وَلَا يَسْجُدُونَ لَكَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْنَا كَمَا يَفْعَلُ مَنْ أَتَاكَ فِي سُلْطَانِكَ. فَأَرْسَلَ النَّجَاشِيُّ إِلَى جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ، وَأَجْلَسَ النَّجَاشِيُّ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ عَلَى سَرِيرِهِ فَلَمْ يَسْجُدْ لَهُ جَعْفَرٌ وَلَا أَصْحَابُهُ، وَحَيَّوهُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ عَمْرُو وَغَمَارَةُ: أَلَمْ تُخْبِرْكَ خَبَرُ الْقَوْمِ وَالَّذِي يُرَادُ بِكَ؟ فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: أَلَا تَحَدِّثُونِي أَيُّهَا الرُّهْطُ! مَا لَكُمْ لَا تُحَيُّونِي كَمَا يُحَيُّونِي مَنْ أَتَانِي مِنْ قَوْمِكُمْ وَأَهْلِ بِلَادِكُمْ وَآخَرُونَ؟ [وَأَخْبِرُونِي] مَاذَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ؟ وَمَا بِدِينِكُمْ: أَنْصَارِي أَنْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: أَفِيَهُودُ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَعَلَى دِينِ قَوْمِكُمْ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: فَمَا بِدِينِكُمْ؟ قَالُوا: الْإِسْلَامُ. قَالَ: وَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالُوا: نَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا. قَالَ: مَنْ جَاءَكُمْ بِهَذَا؟ قَالُوا: جَاءَنَا بِهِ رَجُلٌ مِنْ أَنْفُسِنَا قَدْ عَرَفْنَا وَجْهَهُ وَنَسَبَهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا كَمَا بَعَثَ الرَّسُلَ إِلَى مَنْ قَبْلَنَا، فَأَمَرَنَا بِالْبِرِّ وَالصَّدَقِ وَالْوَفَاءِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَنَهَانَا أَنْ نَعْبُدَ الْأَوْثَانَ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَصَدَّقْنَاهُ وَعَرَفْنَا كَلَامَ اللَّهِ تَعَالَى، وَعَلِمْنَا أَنَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ عَادَانَا قَوْمًا وَعَادُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّادِقَ، وَكَذَّبُوهُ، وَأَرَادُوا قَتْلَهُ، وَأَرَادُونَا عَلَى عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَفَرَرْنَا إِلَيْكَ بِدِينِنَا وَدِمَائِنَا مِنْ قَوْمِنَا، وَلَوْ أَقْرُونَا اسْتَفَرَرْنَا. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: وَاللَّهِ إِنْ خَرَجَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ الْمَشْكَاةِ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أَمْرُ عِيسَى

عَلَيْهِ السَّلَام، قَالَ جَعْفَرُ: وَأَمَّا التَّحِيَّةُ فَإِنَّ رَسُولَنَا أَخْبَرَنَا أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ السَّلَامُ وَأَمَرَنَا بِذَلِكَ فَحَيَّيْنَاكَ بِالَّذِي يُحْيِي [به] بَعْضُنَا بَعْضًا. وَأَمَّا عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَابْنُ الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ فَخُصَّ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَأَخَذَ مِنْهَا عُوْدًا وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا زَادَ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَى هَذَا وَزَنَ هَذَا الْعُودُ. فَقَالَ عَظْمَاءُ الْحَبَشَةِ: وَاللَّهِ لَئِنْ سَمِعْتَ هَذَا الْحَبَشَةُ نَتَخَلَّعُكَ. فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: وَاللَّهِ لَا أَقُولُ فِي عِيسَى غَيْرَ هَذَا أَبَدًا... فَقَالَ النَّجَاشِيُّ حِينَ كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بِمَا كَلَّمَهُ وَحِينَ أَبَى أَنْ يَدْفَعَهُمْ إِلَى عَمْرُو: أَرْجِعُوا إِلَى هَذَا هَدِيَّتَهُ - يُرِيدُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ - وَاللَّهِ لَوْ رَشَوْنِي فِي هَذَا دَبَّرَ ذَهَبٌ وَالذَّبْرُ فِي لِسَانِ الْحَبَشَةِ الْجَبَلُ - مَا قَبِلْتُهُ. وَقَالَ لَجَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ: امْكُثُوا فَإِنَّا كُمْ سُبُومٌ وَالسُّبُومُ الْأَمْنُونَ، قَدْ مَنَعَكُمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَأَمَرَ لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ مِنَ الزَّرْقِ وَقَالَ: مَنْ نَظَرَ إِلَى هَؤُلَاءِ الرُّهْطِ نَظْرَةً تُؤْذِيهِمْ فَقَدْ رَغِمَ أَيْ فَقَدَ عَصَانِي).

وردت هذه الخطبة على لسان موسى بن عقبة أحد الإخباريين من أهل المدينة، إلا أن هذا النص يسجل عليه بعض الانتقادات يمكن تلخيصها بما يلي: أ- في بداية الرواية يظهر الحديث أن قريش علمت بهجرة المسلمين وحاولت أن تسبقهم عند النجاشي بإرسال عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد، وهذا يخالف كل نصوص الروايات التي تتحدث عن وصول المسلمين، ومن ثم وصول وفد قريش لاسترجاعهم. ب- في معرض حديث عمرو مع النجاشي ذكر أن المسلمين لا يعتقدون بأن عيسى ابن الله، وذلك لتأليب النجاشي على المسلمين؛ ولكن السؤال الذي لابد من طرحه هنا، كيف علم عمرو بن العاص باعتقاد المسلمين بخصوص شخصية السيد المسيح وهو لازال على الكفر؟ ج- وفي سياق الحديث أيضاً وفي جملة عوامل التحريض ضد المسلمين قال عمرو للنجاشي: إنهم لن يسجدوا لك وهكذا كان، لكن السؤال كيف علم عمرو بعدم سجود المسلمين للنجاشي؟ د- أما النقطة الأهم التي أغفلتها جل الروايات التي ذكرت الخطبة ما اللغة المستخدمة من قبل الطرفين أي الحبشية أم العربية؟ فإذا كانت العربية فلم تتحدث المصادر عن معرفة النجاشي وبطارقته للعربية، وإذا كانت بالحبشية فلم تذكر المصادر معرفة المسلمين باللغة الحبشية ولا سيما جعفر بن أبي طالب؟ إذن ما وسيلة التخاطب بين الطرفين؟ يبدو لي أن هناك مترجم كان بين الطرفين لاسيما أن ابن كثير وهو مصدر متأخر ذكر أن جعفر كان يترجم إلى الحبشية، وهذه رواية لا يمكن الأخذ بها لورودها دون سند ولكون المصادر المتقدمة التي ترجمت لجعفر لم تذكر ذلك، فتبقى وسيلة التخاطب بين الطرفين غير معروفة لإغفال المصادر لهذه المعلومة.

2- القسم الثاني مصادر ذكرت الخطبة على لسان عبد الله بن مسعود الهذلي (32هـ/653م) وهي البيهقي في دلائل النبوة (البيهقي 1985م) وابن سيد الناس (محمد بن سيد الناس ت 734هـ/1334م) في عيون الأثر (ابن سيد الناس 1993م) والذهبي في تاريخه (الذهبي 1982م) وابن كثير في البداية والنهاية (ابن كثير 1987م) وهناك اختلاف في بعض الألفاظ وتالياً نص الخطبة. (قَدْ قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى سَمِعْتُ خَدِيجاً أَخَا زُهَيْرِ بْنِ مُغَاوِيَةَ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُثْبَةَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى النَّجَاشِيِّ، وَنَحْنُ نَحْوُ مِنْ ثَمَانِينَ رَجُلًا، فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَجَعْفَرُ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَرْفُطَةَ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَأَبُو مُوسَى فَأَتَوْا النَّجَاشِيَّ. وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَعُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بِهَدِيَّةٍ، فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا. قَالَ فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَا: فِي أَرْضِكَ، فَأَبَعْتَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثْتَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ جَعْفَرُ: أَنَا خَطِيبُكُمْ الْيَوْمَ فَاتَّبِعُونِي، فَسَلَّمَ وَلَمْ يَسْجُدْ، فَقَالُوا لَهُ: مَا لَكَ لَا تَسْجُدُ لِلْمَلِكِ؟ قَالَ إِنَّا لَا نَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا ثُمَّ أَمَرَنَا أَنْ لَا نَسْجُدَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ. قَالَ عَمْرُو: فَإِنَّهُمْ يُخَالِفُونَكَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ، قَالَ فَمَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَأَمَهُ؟ قَالَ نَقُولُ كَمَا قَالَ اللَّهُ: هُوَ كَلِمَتُهُ وَرُوحُهُ أَلْقَاهَا إِلَى الْعَذْرَاءِ الْبُتُولِ، الَّتِي لَمْ يَمَسَّهَا بَشَرٌ، وَلَمْ يَفْرِضْهَا وَلَدٌ. قَالَ فَرَفَعَ عُوْدًا مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْحَبَشَةِ وَالْقَسِّيِّينَ وَالرُّهْبَانَ، وَاللَّهِ مَا يَزِيدُونَ عَلَى الَّذِي نَقُولُ فِيهِ مَا سَوَى هَذَا، مَرْحَبًا بِكُمْ وَبِمَنْ جِئْتُمْ مِنْ عِنْدِهِ، أَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأَنَّهُ الَّذِي نَجِدُ فِي الْإِنْجِيلِ. وَأَنَّهُ الرَّسُولُ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَنْزَلُوا حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاللَّهِ لَوْلَا مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَأَتَيْتُهُ حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّذِي أَحْمِلُ نَعْلَيْهِ. وَأَمَرَ بِهَدِيَّةِ الْآخَرِينَ فَرَدَّتْ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ تَعَجَّلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَتَّى أَدْرَكَ بَغْرًا).

هذه الخطبة التي ذكرت على لسان الصحابي عبد الله بن مسعود وفي عدة مصادر، إلا أن التناقض في بداية الرواية بشكل واضح فقد ذكر أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بعث المسلمين إلى النجاشي فأوتوه، فمن سياق الحديث يتضح أن هناك لقاء تم مع النجاشي، وعندما وصل وفد قريش لطلب المسلمين يتضح من السياق أن النجاشي لا يعلم بوجودهم وذلك بنص الرواية: فَلَمَّا دَخَلَا عَلَى النَّجَاشِيِّ سَجَدَا لَهُ ثُمَّ ابْتَدَرَاهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ ثُمَّ قَالَا لَهُ: إِنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي عَمَنَا نَزَلُوا أَرْضَكَ وَرَغِبُوا عَنَّا وَعَنْ مِلَّتِنَا. قَالَ فَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَا: فِي أَرْضِكَ، فَأَبَعْتَ إِلَيْهِمْ، فَبَعَثْتَ إِلَيْهِمْ. وأما موضوعي الزكاة والصلاة فسيتم مناقشته في القسم الأخير، بينما النقطة الثانية فلا يرد في النص أن جعفر قرأ شيئاً من القرآن على خلاف أغلب الروايات، إنما اكتفى بالحديث عن وجهة نظر الإسلام في السيد المسيح، وأما النقطة الأخرى النجاشي ينطق بشهادته، وهذا

يخالف مذهب أهل الحبشة فليس من المعقول بمكان أن يتقوه بها لمجرد أن سمع جعفر وحديثه عن النبي والإسلام.

3- القسم الثالث: هي مصادر ذكرت الخطبة دون سند وتنقسم إلى قسمين الأول: أورد اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ت282هـ/895م) في تاريخه رواية دون سند (اليعقوبي1993م) . وأما القسم الثاني: فقد أوردها الحسني (أحمد بن إبراهيم ت353هـ/964م) في المصابيح (الحسني2002م) وابن حديدة الأنصاري (محمد بن علي ت783هـ/1381م) في المصباح المضيء (ابن حديدة1977م) رواية متشابه بينهما، إذ امتازت الخطبة عندهما بأنها كانت على شكل محاورة ومناظرة بين جعفر وعمرو بن العاص. وتالياً نص الخطبة عند اليعقوبي:

(ولما رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما فيه أصحابه من الجهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمه إياه قال لهم: ارحلوا مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي فإنه يحسن الجوار. فخرج في المرة الأولى اثنا عشر رجلاً وفي المرة الثانية سبعون رجلاً سوى أبنائهم ونسائهم، وهم المهاجرون الأولون، فكان لهم عند النجاشي منزلة، وكان يرسل فيسأله عما يريد فلما بلغ قريشاً ذلك وجهت بعمر بن العاص وعمارة بن الوليد المخزومي إلى النجاشي بهدايا وسأله أن يبعث إليهم بمن صار إليه من أصحاب رسول الله، وقالوا سفهاء من قومنا خرجوا عن ديننا وضلوا أمواتنا وعابوا آلهتنا، وأن تركناهم ورأيهم لم نؤمن أن يفسدوا دينك. فلما قال عمرو وعمارة للنجاشي هذا، أرسل إلى جعفر فسأله، فقال: أن هؤلاء على شر دين يعبدون الحجارة ويصلون للأصنام ويقطعون الأرحام ويستعملون الظلم ويستحلون المحارم، وأن الله بعث فينا نبياً من أعظمنا قدراً وأشرفنا سرراً وأصدقنا لهجة وأعزنا بيتاً، فأمر عن الله بترك عبادة الأوثان واجتناب المظالم والمحارم والعمل بالحق والعبادة له وحده، فرد على عمرو وعمارة الهدايا وقال: أدفع إليكم قوماً في جوارى على دين الحق وأنتم على دين الباطل! وقال لجعفر: اقرأ علي شيئاً مما أنزل على نبيكم. فقرأ عليه: كهيعص فبكى وبكى من بحضرته من الأساقفة فقال له عمرو وعمارة: أيها الملك إنهم يزعمون أن المسيح عبد مملوك، فأوحشه ذلك وأرسل إلى جعفر فقال له: ما تقول وما يقول صاحبكم في المسيح؟ قال: إنه يقول إنه روح الله وكلمته، ألقاها إلى العذراء البتول. فأخذ عوداً بين إصبعيه ثم قال: ما يزيد المسيح على ما قلت ولا مقدار هذا.)) إن رواية اليعقوبي التي ليس لها سند لا تختلف عن سابقتها من النقد وطرح الأسئلة التي من شأنها أن تثير الموضوع، فاليعقوبي يزعم أن المسلمين كان لهم منزلة عند النجاشي، فمن أين أتت هذه المنزلة؟ والنقطة الثانية بأن يرسل النجاشي إلى المسلمين للسؤال، فما هي طبيعة الأسئلة التي يريد النجاشي معرفة أجوبتها من جعفر أو المسلمين؟ لاسيما وأن الإسلام لازال في بواكيره الأولى ومعلومات المسلمين لا تتعدى عما ورد حتى السنة الخامسة للبعثة.

وأما الرواية التي ذكرها الحسني وابن حديدة فكانت كالآتي: (قال: فَبَعَثْتُ قُرَيْشٌ فِي آثَارِهِمْ عُمَارَةَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَزُومِيَّ وَعَمْرُو بْنَ الْعَاصِ السَّهْمِيَّ وَأَمْرُوهُمَا أَنْ يُسْرِعَا السَّيْرَ حَتَّى يَسْبِقَاهُمَا إِلَى النَّجَاشِيِّ فَمَعْلَاً فَقَدِمَا عَلَى النَّجَاشِيِّ فَدَخَلَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي بَيْنَ أَظْهُرِنَا وَأَفْسَدَ فِينَا تَنَافُوكَ لِيُفْسِدَ عَلَيْكَ دِينُكَ وَمُلْكُكَ وَأَهْلُ سُلْطَانِكَ وَنَحْنُ لَكَ نَاصِحُونَ وَأَنْتَ لَنَا عَيْنُهُ صِدْقِي تَأْتِي إِلَى عَشِيرَتِنَا بِالْمَعْرُوفِ وَيَأْمُرُ تَاجِرُنَا عِنْدَكَ فَبَعَثْنَا قَوْمَنَا إِلَيْكَ لِنُنْذِرَكَ فَسَادَ مُلْكِكَ وَهَؤُلَاءِ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ الرَّجُلِ الَّذِي خَرَجَ فِينَا وَنُحْبِرُكَ بِمَا نَعْرِفُ مِنْ خِلَافِهِمْ الْحَقُّ أَتَهُمْ لَا يَشْهَدُونَ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَحْسِبُهُ قَالَ: إِلَهِهَا وَلَا يَسْجُدُونَ لَكَ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْكَ فَادْفَعْهُمْ إِلَيْنَا فَلَنَكْفِيكَهُمْ فَلَمَّا قَدِمَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْحَدِيثِ وَعَمْرُو وَعُمَارَةُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ وَجَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ قَالَ: فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّ الرَّجُلَيْنِ قَدْ سَبَقَا وَدَخَلَا صَاحَ جَعْفَرٌ عَلَى الْبَابِ يَسْتَأْذِنُ حَزْبَ اللَّهِ فَسَمِعَهَا النَّجَاشِيَّ فَأَذِنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ وَعَمْرُو وَعُمَارَةُ عِنْدَ النَّجَاشِيِّ قَالَ: أَتَيْكُمْ صَاحَ عِنْدَ الْبَابِ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا هُوَ فَأَمَرَهُ فَعَادَ لَهَا فَلَمَّا دَخَلُوا سَلَّمُوا تَسْلِيمَ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَسْجُدُوا لَهُ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَعُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ: أَلَمْ تُبَيِّنْ لَكَ خَبَرِ الْقَوْمِ فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَاشِيَّ ذَلِكَ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: أَخْبِرُونِي أَيُّهَا الرَّهْطُ مَا جَاءَ بِكُمْ وَمَا شَأْنُكُمْ وَلِمَ أَتَيْتُمُونِي وَلَسْتُمْ بِتَجَارٍ وَلَا سُؤَالٍ وَمَا نَبِّئُكُمْ هَذَا الَّذِي خَرَجَ وَأَخْبِرُونِي مَا لَكُمْ لِمَ لَا تُحْيُونِي كَمَا يُحْيِينِي مَنْ أَتَانِي مِنْ أَهْلِ بَلَدِكُمْ وَأَخْبِرُونِي مَا تَقُولُونَ فِي عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؟ فَقَامَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَكَانَ خَطِيبَ الْقَوْمِ فَقَالَ: إِنَّمَا كَلَامِي ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ إِنْ صَدَقْتُ فَصَدِّقْنِي وَإِنْ كَذَبْتُ فَكَذِّبْنِي فَأَمْرٌ أَحَدًا مِنْ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيُنْصَبِ الْآخَرُ قَالَ عَمْرُو: أَنَا أَتَكَلَّمُ قَالَ النَّجَاشِي: أَنْتَ يَا جَعْفَرُ فَتَكَلَّمْ قَبْلَهُ فَقَالَ جَعْفَرٌ: إِنَّمَا كَلَامِي ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ سَلِّ هَذَا الرَّجُلَ أَعْبِيدَ نَحْنُ أَبَقْنَا مِنْ أَرْبَابِنَا فَارْزُدْنَا إِلَى أَرْبَابِنَا فَقَالَ النَّجَاشِي: أَعْبِيدُ هُمْ يَا عَمْرُو؟ قَالَ عَمْرُو: بَلْ أَرْزَأُ كِرَامَ قَالَ جَعْفَرٌ: سَلِّ هَذَا الرَّجُلَ: هَلْ أَهْرَقْنَا دَمًا بَغَيْرِ حَقِّهِ فَادْفَعْنَا إِلَى أَهْلِ الدَّمِ فَقَالَ: هَلْ أَهْرَقُوا دَمًا بَغَيْرِ حَقِّهِ؟ فَقَالَ: وَلَا قَطْرَةً وَاحِدَةً مِنْ دَمٍ ثُمَّ قَالَ جَعْفَرٌ: سَلِّ هَذَا الرَّجُلَ: أَخَذْنَا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ فَعَدَدْنَا قِصَاصًا؟ فَقَالَ النَّجَاشِي: يَا عَمْرُو إِنْ كَانَ عَلَى هَؤُلَاءِ قِنْطَارٌ مِنْ ذَهَبٍ فَهُوَ عَلَيَّ فَقَالَ عَمْرُو: وَلَا قِيرَاطٌ فَقَالَ النَّجَاشِي: مَا تُطَالِبُونَهُمْ بِهِ؟ قَالَ عَمْرُو: فَكُنَّا نَحْنُ وَهُمْ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَأَمْرٌ وَاحِدٍ فَتَرَكُوهُ وَلَزِمْنَاهُ فَقَالَ النَّجَاشِي: مَا هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ عَلَيْهِ فَتَرَكْتُمُوهُ وَتَبِعْتُمْ غَيْرَهُ؟ فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَمَّا الَّذِي كُنَّا عَلَيْهِ فَيُنِى الشَّيْطَانِ وَأَمْرٌ

الشَّيْطَانُ نَكُفِّرُ بِاللَّهِ وَنَعْبُدُ الْحِجَارَةَ وَأَمَّا الَّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ فِدَيْنُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نُخْبِرُكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ إِلَيْنَا رَسُولًا كَمَا بَعَثَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلُنَا، فَأَتَانَا بِالصِّدْقِ وَالْبِرِّ وَنَهَانَا عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ فَصَدَّقْنَاهُ وَأَمَّنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ، فَلَمَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ عَادَانَا قَوْمًا وَأَرَادُوا قَتْلَ النَّبِيِّ الصَّادِقِ، وَرَدَّنَا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، فَفَرَزْنَا إِلَيْكَ بِدِينِنَا وَدِمَانِنَا، وَلَوْ أَقْرَأْنَا قَوْمَنَا لَأَسْتَفْزَرْنَا، فَذَلِكَ خَبَرُنَا، وَأَمَّا شَأْنُ التَّحِيَّةِ فَقَدْ حَيَّيْنَاكَ بِتَحِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالَّذِي يُحَيِّي بِهِ بَعْضُنَا بَعْضًا، أَخْبَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ تَحِيَّةَ أَهْلِ الْجَنَّةِ السَّلَامُ، فَحَيَّيْنَاكَ بِالسَّلَامِ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَسْجُدَ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ نَعْبُدَكَ بِاللَّهِ، وَأَمَّا فِي شَأْنِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ جَلَّ أَنْزَلَ فِي كِتَابِهِ عَلَى نَبِيِّنَا أَنَّهُ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ، وَلَدَتْهُ الصَّدِيقَةُ الْعُذْرَاءُ النَّبُولُ الْحَصَانُ، وَهُوَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَهَذَا شَأْنُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، فَلَمَّا سَمِعَ النَّجَاشِيُّ قَوْلَ جَعْفَرٍ أَخَذَ بِيَدِهِ غَوْدًا ثُمَّ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ: صَدَقَ هَؤُلَاءِ النَّفَرُ وَصَدَقَ نَبِيُّهُمْ، وَاللَّهِ مَا يَزِيدُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَلَى مَا يَقُولُ هَذَا الرَّجُلُ وَلَا وَزَنَ هَذَا الْغَوْدُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّجَاشِيُّ: امْكُثُوا فَإِنَّكُمْ سَيُؤْمَرُونَ، وَالسُّيُومُ أَمْنُونَ، قَدْ مَنَعَكُمْ اللَّهُ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُهُمْ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: أَتَيْكُمْ أَدْرَسَ لِلْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّكُمْ؟ قَالُوا: جَعْفَرٌ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ مَرْيَمَ فَلَمَّا سَمِعَهَا عَرَفَ أَنَّهُ الْحَقُّ وَقَالَ النَّجَاشِيُّ زِدْنَا مِنْ هَذَا الْكَلَامِ الطَّيِّبِ، ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِ سُورَةَ أُخْرَى فَلَمَّا سَمِعَهَا عَرَفَ الْحَقَّ وَقَالَ: صَدَقْتُمْ وَصَدَقَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَتْنُمُ وَاللَّهِ صَدِيقُونَ، امْكُثُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَبِرِّكَتِهِ آمَنِينَ مَمْنُوعِينَ، وَأَلْقَى عَلَيْهِمُ الْمُحَبَّةُ مِنَ النَّجَاشِيِّ. وهذه الرواية ناهيك عن ورودها من دون سند، ولكن يتضح فيها أسلوب جديد مخالف لمعظم الروايات، فقد أوردت هذه الرواية أن الوفد القرشي وصل إلى النجاشي، ومن ثم جاء المسلمون ومنعوا من الدخول على النجاشي حتى صاح جعفر نحن حزب الله، فسمع النجاشي ذلك فسمح له بالدخول، وهنا تأتي النقطة المغايرة الأخرى لما ورد سابقاً بأن جعفر هو من طلب الحوار مع عمرو بن العاص وهذا ما لم يرد عند بقية المصادر، أما النقطة الثانية في هذه الرواية أن جعفر يتحدث عن السيد المسيح أنه رسول قد خلت من قبله الرسول أي أنه توفي، وهذا يخالف النظرة الإسلامية. وقال تعالى: (وَقَوْلُهُمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)) (النساء: 157-158)

4- القسم الرابع أورد أبو نعيم الأصبهاني في دلائل النبوة (الأصبهاني 1986 -أ) الخطبة على لسان عروة بن الزبير بن العوام (ت94هـ/712م) وكانت على شكل محاور ومناظرة، ووردت في القسم الثالث عند الحسيني وابن حديدة، وفي اختلاف بسيط في بعض الألفاظ، وهذا القسم كما سبقه في القسم الثالث إلا أن ما يميز هذه الرواية ورودها على لسان عروة بن الزبير.

5- القسم الخامس مصادر لم تذكر الخطبة واكتفت بالحديث عن الهجرة وسرد أسماء المهاجرين وهي ابن سعد في الطبقات (ابن سعد 1968م) والبلاذري في أنساب الأشراف (البلاذري 2008م). والطبري في تاريخه (الطبري 1966م) وهذه من المصادر الموثوقة عند المؤرخين.

6- القسم السادس وهو الذي اتفقت عليه عدة مصادر، حيث نقلت هذه المصادر الرواية عن ابن إسحاق (ابن إسحاق 1976م، ابن هشام 1955م، الأصبهاني 1986-أ، ابن عساكر 1996م، الكلاعي 2000، ابن أبي الحديد 2003م، الطبري 1995م، ابن كثير 1987م) على اعتبار أنها أقدم نصوص السيرة التي وصلت إلينا، وتالياً نص الخطبة الأقدم:

«نا أحمد: نا يونس عن ابن إسحق قال: حدثني الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إنها قالت: (لما ضاقت علينا مكة وأوذى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه، فخرجنا إليها أرسالاً حتى اجتمعنا بها فنزلنا بخير دار إلى خير جار، أمناً على ديننا، ولم نخش منه ظملاً. فلما رأيت قريش أن قد أصبنا داراً وأمناً أجمعوا على أن يبعثوا إليه فينا ليخرجنا من بلاده وليردنا عليهم، فبعثوا عمرو بن العاصي، وعبد الله بن أبي ربيعة، فجمعوا له هدايا ولبطارقه، فلم يدعوا منهم رجلاً إلا هياؤاً له هدية على ذي حده، وقالوا لهما: ادفعا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلموا فيهم، ثم ادفعوا إليه هداياه، وإن استطعتم أن يردهم عليكم قبل أن يكلمهم فافعلوا. ففعلنا، فلم يبق بطريق من بطارقه إلا قدموا له هديته وكلموه وقالوا له: إنا قدمنا على هذا الملك في سفهاء من سفهائنا فارقوا أقوامهم في دينهم ولم يدخلوا في دينكم، فبعثنا قومهم فيهم ليردهم الملك عليهم، فإذا نحن كلمناه فأشيروا عليه بأن يفعل، فقالوا: نفعل، ثم قدما إلى النجاشي هداياه، وكان أحب ما يهدى إليه من مكة الأدم، فلما أدخلوا عليه هداياه قالوا له: أيها الملك إن فتية منا سفهاء فارقوا دين قومهم، ولم

يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه، وقد لجأوا إلى بلادك، فبعثنا إليك فيهم عشائريهم: آبائهم، وأعمامهم، وقومهم لتردهم عليهم، فهم أعلى بهم عينا، فقالت بطارقتها: صدقوا أيها الملك لو رددتهم عليهم كانوا هم أعلى بهم عينا، فإنهم لم يدخلوا في دينك فتمنعهم بذلك، فغضب ثم قال: لا لعمر الله لا أردهم عليهم حتى أدعوهم وأكلمهم وأنظر ما أمرهم، قوم لجأوا إلى بلادي واختاروا جواري على جوار غيري، فإن كانوا كما يقولون رددتهم عليهم، وإن كانوا على غير ذلك منعهم ولم أخل بينهم وبينهم، ولم أنعمهم عينا. فأرسل إليهم النجاشي فجمعهم ولم يكن شيء [أبغض] إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة من أن يسمع كلامهم، فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمع القوم فقالوا: ماذا تقولون؟ فقالوا: وماذا نقول، نقول والله ما نعرف، وما نحن عليه من أمر ديننا، وما جاء به نبينا كائن في ذلك ما كان، فلما دخلوا عليه كان الذي يكلمه منهم جعفر بن أبي طالب، فقال له النجاشي: ما هذا الدين الذي أنتم عليه، فارقتم دين قومكم، ولا تدخلوا في يهودية ولا نصرانية، فما هذا الدين؟ فقال جعفر: أيها الملك كنا قوماً على الشرك: نعبد الأوثان، ونأكل الميتة، ونسيء الجوار، ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمة، فبعث الله إلينا نبياً من أنفسنا نعرف وفاءه وصدقه وأمانته فدعانا إلى أن نعبد الله وحده لا شريك له، ونصل الرحم، ونحسن الجوار، ونصلي ونصوم ولا نعبد غيره، فقال: هل معك شيء مما جاء به - وقد دعا أساقفته فأمرهم فنشروا المصاحف حوله -؟ فقال جعفر: نعم، قال: هلم فأتنا علي ما جاء به، فقرأ عليه صديراً من ((كهيعص)) فبكا والله النجاشي حتى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلو مصاحفهم، ثم قال: إن هذا الكلام ليخرج من المشكاة الذي جاء بها موسى، انطلقوا راشدين، لا والله أردهم عليكم ولا أنعمكم عينا، فخرجا من عنده، وكان أتقى الرجلين فينا عبد الله بن أبي ربيعة، فقال له عمرو بن العاص: والله لآتينه غدا بما أستأصل به خضراءهم، لأخبرنه أنهم يزعمون أن إلهه الذي يعبد - عيسى بن مريم - عبد، فقال له عبد الله بن ربيعة: لا تفعل فإنهم وإن كانوا خالفونا فإن لهم رحماً ولهم حقاً، فقال: والله لأفعلن. فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه، فدخلوا عليه، وعنده بطارقتها، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فدلّى النجاشي يده إلى الأرض فأخذ عويداً بين أصبعيه فقال: ما عدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود فتناخرت بطارقتها، فقال: وإن تناخرتم والله، اذهبا فأنتم شيوم بأرضي، والشيوم: الآمنون، ومن سبكم غم ومن سبكم غم، وثلاثاً، ما أحب أن لي دبيراً، وأني أذيت رجلاً منكم، والدبير بلسانهم الذهب، فو الله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي، فأخذ الرشوة فيه، ولا أطاع الناس في فاطيع الناس فيه، ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لنا بهما، واخرجا من بلادي، فخرجا مقبوحين مردود عليهما ما جاء به).

بوعرض خطبة جعفر بأسانيد مختلفة فلا بد من استتطاق هذه الخطبة تحديداً أكثر من غيرها كونها الأقدم، وتوجيه الانتقادات للخطب السابقة التي من شأنها إظهار الحقيقة من عدمها، ولا سيما فيما ورد من معلومات بتلك الخطب كان من شأنها أن تلفت انتباه الباحث الناقد، لذلك جاء استعراض هذه الروايات لأسلط الضوء على بعض الزوايا المعتمدة على هذه الخطب وإجلاء الغموض عما ورد فيها، للوهلة الأولى يبدو أن نصوص الخطب متماسك وذو دلالات إسلامية مميزة في تبيان بعض الفروض والأوامر والنواهي التي جاء بها الرسول الكريم، ولكن في قراءة نقدية يتضح لنا أن الخطب كنص لا تتوافق ما تم فرضه من الناحية التاريخية، وهذا ما يخص الخطبة الأقدم التي وردت في السيرة التي تحدثت بتعاليم إسلامية لم يكن جعفر على اطلاع بأمرها، وأما الخطب الأخرى فكان لها نصيب من النقد، بينما رواية ابن إسحاق للخطبة لها نقد خاص وهو كالاتي:

- 1- في الخطبة الموجهة إلى النجاشي يتحدث جعفر عن بعض النواهي التي أمر بها القرآن الكريم وأولها أكل الميتة، فمن الناحية الزمنية لا تتوافق هذه المعلومة أي تحريم أكل الميتة مع نزول الآية الخاصة بذلك، بمعنى أن جعفر يتحدث في السنة الخامسة للبعثة عن تحريم أكل الميتة بينما الآية الخاصة بذلك نزلت في المدينة، وهي في سورة المائدة، وقال تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهَلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (المائدة 3).
- 2- أما موضوع إساءة الجوار واستحلال المحارم وسفك الدماء وعدم التحليل والتحريم فالنص ملتبس غير واضح بالشكل المطلوب، فقوله: "ونستحل المحارم بعضنا من بعض في سفك الدماء وغيرها، لا نحل شيئاً ولا نحرمة" فما المقصود باستحلال المحارم؟ إضافة لذلك كيف له أن يدعي بعدم التحليل والتحريم والأشهر الحرم عند العرب قبل الإسلام كانت معروفة ومشهورة، أما موضوع إساءة الجوار فهل هي حالة يعم عليها عند العرب ألم يُعرف العرب بإغاثة الملهوف وحق الإجارة؟ وألم يعترف الرسول عليه السلام بأخلاق العرب عندما قال: إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق. (البخاري 1989م - أ، الحاكم النيسابوري 1990م)

3- أما الحديث عن موضوع صلة الرحم فقد ورد في القرآن الكريم في أكثر من موضع إلا أن جميعها كان في السور المدنية وليس المكية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ البقرة 177، وفي آية أخرى أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ النساء 1، وهناك العديد من الآيات التي تحدثت بذلك إلا أن معظمها كان في الفترة المدنية، أي أن نزولها جاء لاحقاً وبعد هجرة الحبشة بفترة طويلة.

4- أما حسن الجوار فقد ذكر في الآية الكريمة حيث قال العزيز في محكم كتابه: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ)) النساء 36، وسورة النساء من السور المدنية أي أن الفترة الزمنية التي تفصل بين ما تحدث به جعفر ونزول الآية على أقل تقدير كان بينهما على الأقل عقداً من الزمن. ناهيك عن الحديث النبوي الذي قال فيه الرسول الكريم: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) ((البخاري 2005م-ب، الترمذي 1998م) وهذا الحديث مشهور جداً عن النبي عليه السلام وأرجح الآراء أنه قيل في الفترة المدنية وليس المكية أي أن جعفر لم يسمع به من قبل.

5- الصلاة وهي من الأمور التي ذكرها جعفر في خطبته أمام النجاشي إلا أن الصلاة فرضت في حادثة الإسراء والمعراج حسب ما تذكر مصادر السيرة النبوية وغيرها (ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م) علماً بأن حادثة الإسراء والمعراج المختلف في تاريخها أغلب المصادر تؤكد أنها كانت بعد السنة السادسة للبعثة (ابن هشام 1955، ابن سعد 1968، البلاذري 2008م)، أي بعد هجرة الحبشة، فكيف لجعفر الحديث عنها بتلك الخطبة؟

6- الصوم وهو من الفروض التي ذكرها جعفر في خطبته إلا أنه فرض في السنة الثانية من الهجرة (ابن سعد 1968، البلاذري 2008م، الطبري 1966م) حسب ما ذكر في الآية الكريمة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) البقرة 183، فالصوم ذكر بسورة البقرة وهي من السور المدنية، أي أن ذكره في الخطبة غير صحيح.

7- ذكرت الروايات أن النجاشي طلب من جعفر تلاوة بعض الآيات التي جاء بها النبي عليه السلام فتلا صدراً من (كهيعص)، والمقصود بالصدر أول الشيء إلا أن الآيات التي تحدثت عن السيد المسيح تبدأ من الآية السادسة عشر، فهل تعتبر كل تلك الآيات صدراً؟ وإن اعتبرت صدراً فقد تم الإيضاح من خلالها قصة مريم والسيد المسيح وكيفية ولادته، فلماذا في الشطر الآخر يعود النجاشي ليسألهم عن رأي الإسلام في السيد المسيح؟ حسب ما ذكرت الرواية: "فلما كان الغد دخل عليه فقال: أيها الملك إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيماً، فأرسل إليهم فسلمهم عنه، فبعث إليهم، ولم ينزل بنا مثلها، فقال بعضنا لبعض: ماذا تقولون له في عيسى إن هو سألكم عنه؟ فقالوا: نقول والله الذي قاله فيه، والذي أمرنا نبينا أن نقوله فيه، فدخلوا عليه، وعنده بطارفته، فقال: ما تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال له جعفر: نقول: هو عبد الله ورسوله وكلمته وروحه ألقاها إلى مريم العذراء البتول (ابن إسحاق 1976، ابن هشام 1955م) ولا بد من التنويه أن حديث جعفر عن السيد المسيح، يتعارض مع المفاهيم الأساسية لطبيعة المسيح عند النصارى، فكيف تم قبول ذلك من قبل النجاشي وبتأريته؟

8- هناك اختلاف بين المؤرخين في الأشخاص الذين بعثتهم قريش لاسترجاع المسلمين فمنهم من ذكر عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد (اليقوبي 1993م، الأصبهاني 2010م-ب، البيهقي 1985م، ابن حديد 1977م، ابن سيد الناس 1993م) ومنهم من ذكر عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة. (ابن إسحاق 1976، ابن هشام 1955، الحسني 2002، ابن عساكر 1996م، الكلاعي 2000م، ابن أبي الحديد 2003م، الطبري 1995م، ابن كثير 1987م) إلا أن القارئ للأحداث يتضح له أن قريش أرسلت بعثتين لاسترجاع المسلمين، إلا أن المصادر لا تسعفنا في أي البعثتين كانت الخطبة تحديداً فمصادر جعلتها بالأولى وأخرى بالثانية.

وختاماً يتضح من استعراض المرويات الأولى لخطبة جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، لا أساس لها من الصحة لما فيها من تناقضات لا تُعبرُ على الباحث الحصيف بناءً على ما تم ذكره سابقاً، فنصوص الخطب غير متماسكة ومتناقضة ووردت في أكثر من صيغة مما يجعل لزاماً علي رفض هذه الخطبة جملة وتفصيلاً، وبقراءة نقدية ومتأنية لهذه النصوص يتضح لدى الباحث الناقد أن الخطب لا تعدو كونها من ابتداء المؤرخين في الفترات اللاحقة كل حسب ميوله وأهوائه، إضافة لذلك يتضح أيضاً أن الهجرة لا تعدو كونها استجارة من قبل المسلمين لما لاقوه من عذاب من قريش، فأجارهم النجاشي ورفض تسليمهم. ناهيك عن النقطة الأهم وهي أن ابن سعد في طبقاته والبلاذري في أنسابه وهما من المصادر الموثوقة التي يعول عليها في الفترات الأولى من تاريخنا، لم يتعرضا للخطبة أبداً وهذا ما يعزز وجهة النظر بأن الخطبة لا أساس لها من الصحة، ولم تكن سوى من خيالات المؤرخين وكتاب السير.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الأصبهاني، أ. (2010م) *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*، تحقيق: سعيد سعد الدين، 10 أجزاء، بيروت: دار إحياء التراث.
- _____ (1986م). *دلائل النبوة*، تحقيق: محمد قلعه جي، بيروت: دار النفائس.
- ابن إسحاق، م. (1976م) *سيرة ابن إسحاق*، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات الرباط: والأبحاث للتعريب.
- البخاري، م. (2005م) *صحيح البخاري*، تحقيق: محمد زهير، دم: دار طوق النجاة.
- _____ (1989م) *الأدب المفرد*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، بيروت: دار البشائر الإسلامية.
- البلاذري، أ. (2008م) *أنساب الأشراف*، تحقيق: يوسف مرعشلي، قسم1، جزء1، المعهد بيروت: الألمانى للأبحاث الشرقية.
- البیهقي، أ. (1985م) *دلائل النبوة*، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الترمذي، م. (1998م) *السنن*، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- ابن أبي حاتم، ع. (1952م) *الجرح والتعديل*، حيد آباد الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، بيروت: إحياء التراث.
- الحاكم النيسابوري، م. (1990م) *المستدرک على الصحيحين*، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حبان، م. (1998م) *الثقات*، وضح حواشيه إبراهيم شمس الدين، تركي فرحان، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن أبي الحديد، ع. (2003م) *شرح نهج البلاغة*، ضبط محمد التمري، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن حديدة الأنصاري، م. (1977م) *المصباح المضيء*، دت، بحيدر آباد الدكن، الهند: مطبعة مجلس دائرة المعارف.
- الحسني، أ. (2002م)، *المصابيح*، تحقيق: عبد الله الحوثي، عمان: مؤسسة الأمام زيد.
- الذهبي، م. (1982م) *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط2، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن سعد، م. (1968م) *الطبقات الكبرى*، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر.
- ابن سيد الناس، م. (1993م) *عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير*، ضبط إبراهيم محمد، بيروت: دار القلم.
- الطبري، م. (1995م) *ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى*، تحقيق: أكرم البوشي، جدة: مكتبة الصحابة.
- الطبري، م. (1966م) *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط5، القاهرة: دار المعارف.
- ابن عساکر، ع. (1996م) *تاريخ مدينة دمشق*، تحقيق: عمر بن غرامة، بيروت: دار الفكر.
- ابن كثير، أ. (1987م) *البداية والنهاية*، تحقيق: فؤاد السيد وآخرون، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكلاعي، س. (2000م) *الإكتفا بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء*، تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.
- المزي، ي. (1983م)، *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*، تحقيق: بشار معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- ابن هشام، ع. (1955م) *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وآخرون، ط2، القاهرة: مطبعة البابي الحلبي.
- اليعقوبي، أ. (1993م) *تاريخ اليعقوبي*، تحقيق: عبد الأمير مهنا، بيروت: مؤسسة الاعلمي..

Jaafar bin Abi Talib in front of Negashi

*Mahrar Mahmoud Al-Zoubi **

ABSTRACT

This study deals with the speech of Jaafar bin Abi Talib in front of Negashi after the migration to Abyssinia, where Jaafar delivered this speech after the arrival of a delegation of Quraish wants to restore Muslims to Mecca. This speech had a clear and significant impact not only on immigrant Muslims, but on Negashi himself and people around him as sources indicate. The speech was served as a lifeline for Muslims to get rid of the harm of Quraish and stability in Abyssinia. The purpose of this research is to show the truth of this speech, by extrapolating the novels and questioning them in a critical manner, especially since this speech has a wide resonance in the books of the Prophet's biography.

Keywords: Jaafar bin Abi Talib, Abyssinia, Negashi, Immigration, Quraysh.

* Petra University, Jordan.

Received on 18/9/2017 and Accepted for Publication on 24/6/2020.